

التربية

وفي حطة لليلة فيه مائة التبا في الجامعة المصرية

حياة الام رجالاً ونساءً ولا رجال ولا نساء الأحياء الصحيحة والآداب
الراية وهذان الامران لا يتجان الا بالتربية القوية لان التربية هي التي تعين الطبيعة على
اتقاء قوى الزلذ الجسدية والعقلية وتصونه من امراض الجبل الفسآة واططر الاهال الكشيرة
وتكسبه فوق ذلك من قوة البدن ودائمة الاخلاق وحسن الاختبار ما يؤمله لان يكون
عضواً نافعاً في الهيئة للجامة

ومن منا نحن النساء لا يجب ان ترى والنساء (سواء كان صبياً او ابنة) في مقبسة ذوي
الشرف والاستقامة والمقامات العالية ومن اصحاب الفضل والصلاح والاحسان
اجل ان كلاً ما ترغب في ذلك وتختاره ولكن قليلات من الثرائي يسلطنهن حسن
الطالع على احرازه واذا قدر لمن ذلك اي اذا قدر ان يكون لمن اولاد محمودي الحصول
فذلك اتفاقاً او بطلب الخير في سليفة الاولاد وليس بفضل الامهات وعنايتهن

اقول ذلك وانما لا اجعل مبلغ آداب نساتنا وصفاء قلوبهن واتهن ابد نساء العالم من
المكرات واكثرهن قسكاً باهداب الفضائل والمبررات على ان ذلك لا يكففين لمعرفة كيفية
الاهتناء بصحة اولادهن وارصان اذهنهم اذ ان التربية علم واسع بل مجرد اخر لا يستطيع
الربي خوض غماره بمجرد كونه فاضلاً واديباً بل من الواجب ان يتعمق على ويفق على كنه
اسرارها حتى يستحق ان توكل اليه العناية بالاولاد اولئك الصغار الذين يصحون يوماً ما رجال
المستقبل ونساءه وان صعوبة هذا العلم وعظم اهميته مع عدم تمكن الوالدين من معرفته قد
دفعت الافدمين التي اقامة المربين والعلمين للاولاد وحدت حدودهم الشوب الاوربية
والاميركية في العصر الاخيرة فاحتمت بالر التربية اهتمامها بامر المعلوم او اكثر فازنفت
بلادها ونقدم شعبها تقدماً باهراً

اما نحن فاننا لا تزال حتى الآن رجالاً ونساءً نجعل قواعد التربية ولم ينظر لرواسبها
مدارحنا الاهتمام بها ولا اكثره كتناينا يوضع مصنف وانف لتعليم الوالدين فن تربية الاولاد
حتى ان سلفنا تابع ما يلغوا اليه من المفاسرة وسعة المعارف وما اشتغلوا به من العلوم والفنون

قد اغفلوا فن التربية ولم يثبتوا شيئاً من قوانينه في مصنفاتهم ولا يزال هذا العلم سهلاً حتى يومنا الحاضر

ولكن اطناحة صاحب الدولة رئيس الجامعة المصرية ورجال ادارتها الافاضل ان ينصروا بأمر التربية عنايتهم بأثر العلوم التي تدرّس في هذا المعهد العلمي فينشروا فرقاً خاصاً لتعليم المعلمين قوانين التربية التي يجب ان يحروا عليها في معاملة الطلبة والاعتناء بصحة اجسامهم واخلاتهم في جميع المدارس . وما ذلك بعيد على رجل الضيرة والفضل رجل الهمة والاقدام رجل الوطنية الصادقة رجل الخير رجل العمل مثال الجهد والنشاط صاحب السولة البرنس احمد فؤاد باشا حفظه الله وامده بيمرته العمدانية لاتمام مقاصد الشريفة وتنفيذ اعماله العظيمة التي طلعت تباشير فوائدها على الامة المصرية وانتشر شذا محاسنها في سائر الاقطار العربية بتدبير محامد مرلانا عن يمينه الفطر سمو الامير المصطفى عباس حلي الثاني خديوي مصر وسمو ولي عهدو الكريم الامير عبد المصطفى رئيس الشرف على هذا المعهد العلمي العظيم . اجل ليس بعيد على غيرهم العظيمة وكناهم للعالية ان يبلغ يوماً بأماننا ما نرجوه من تحسن حالنا على امة وان تمّ لنا ذلك وبلغ منها جوهر مدارسنا اعلّٰ منزلة من التربية فذلك لا يتقص من واجبات الوالدين نحو اولادهم ولا ينسحب عن الاهتمام بهم في الصغرى قبل دخولهم المدرسة وفي الكبر اي بعد خروجهم منها وفي ما يبي من الفترات التي يتقضيها الولد الى جانب والديه بعيداً عن استاذهم

ولما كانت الام اكثر ملازمة للولد كان اسر تربيته موكولاً اليها ولا سيما في دور الصغر وهو الدور الذي يكون فيه عقل الولد على اشد مرونة وقابلية للتكيف والتأثر بكل المؤثرات الخارجية فن الظلم اذن ان تكون الام جاهلة بقوانين التربية لانها تمسّي بذلك آفة على ابنها بما تطبعه في ذهنه من البداوى الفاسدة والاعتقادات الخبيثة التي يصعب ان لم نقل يستحيل زوالها بعد ذلك

ولكي يتضح لنا ذلك جلياً لتصور طفلاً بين يدي ام جاهلة بعلوم من الم المخلص او التهاب الخلق او الخي فتطلق تلك الوالدة في حقه الحجب وتعمل له التعاويد او تجزئه بالملح واذا رقد تضع حول رأسه القناني وتترك الانذار والامواخ تتراكم على عينيه اعتقاداً بان شغلها مضر بهما فاذا كُثبت لهذا الطفل الحياة وبقي له شيء من قوة البصر شب وبين انكسار ان كان من طائفة الاغنياء او ترك في وهاذ الاحمال ان كان من الفقراء وفي كلا الحالين لا

يطرق سمعة إلا الاحاديث الملقفة والحكايات الخرافية وقصص الجن والغاريت فضلاً عن الشتم والاكاذيب فكيف تكون بريكين خاصة هذا الطفل صحيحاً وعتقياً . لا شك أنها تكون حالة تيسرة جداً متى شب على هذه التربية الفاسدة فلا يرى بعد ذلك ان تصلح المدرسة ما نسد من آدابه ونقوم ما اصرح من اخلاقه اذا تأتى للاستاذ ان يؤثر في ذهنه التشيع بالجهالة والفتنة والبلادة والفضلال

لا ريب ان الشيخ التي بتضيها في المدرسة لا تكفي على طول مدتها لنسخ تلك المبادئ الخرفاء التي رسمت في طبعه وحل قيد الجهل والحق الموضوع حول عنقه ولذلك يخرج من المدرسة وهو لا يفرق عما كان عليه وقت الدخول اليها الا بجزئية قواعد العلوم ومبادئ الفئات التي يشحن بها دماغه شيئاً دون ان يستفيد منها ادباً وهو مطابق لقول الشاعر

كليس في تبيد ريشها نفعاً ريشاً فوق ضهورها محسوراً

فاذا علمنا ذلك كله ورأينا بعض شبانا وبناتنا من خريجي المدارس يأتون احياناً اعمالاً والموالات تدلب بفسادها ومخائنها على انهم ليسوا ارق عقلاً من الجهلة الاميين والسوقة المشردين لم يبق لنا سبيل لتعجب منهم كما لم يكن لنا حق بلومهم لانهم ابنا وبنات تربتهم وما تلك الميثاق التي شاهدتم عليها في الطرق والمنزهات الا صور معكوسة عن اخلاق امهاتهم

ولعمري اني لم ازل عظة ابغ من عمل ذلك المجرم وقد اتقيد لتقتل اذ مال على والدته فقطع لسانها اعتقاداً بانه كان السبب في وصوله الى المشقة وذلك بما كانت تلقيه عليه من احاديث الكذب والرياء وما كانت تبث فيه من روح الشرور والمعاصي حتى أصبح بفساد تاملها وشرار شادائها افاً كآفاتلاً ولماً شريراً وبالحقيقة ان مثل هذا لا يسمى مجرماً بل شهيداً شهيد الجهل شهيد التربية الفاسدة وما المجرم الحقيقي الذي يستحق الشتم سوى تلك المرأة التي قضى شوأم الطالع على ابنها ان تكون له اما

اجل ان الام على شدة حبا لولدها وعطفها عليه هي التي تسلب قوة جسده وبناء طبعه وهي التي تقوده الى ظلمات السجون وتجره الى جبل المشقة . . . كما انها هي التي ترفعه الى اسمى مراتب الكمال

هذا ما جعلته مقدمة الموضوع الذي عزمت على البحث فيه والتبسط في فروعه وامراره فلنقتل منه الى

المطلب الاول في غاية التربية

ان التربية علم غاية اتمامه الخلال الحسنة التي في جبهة الولد واستئصال جرائم الشر منها على قدر الطاقة لان من الصفات المورثة ما يكون راسخاً في طبع الولد رسوخاً لا يمكن المربي تزهدهُ بها بديل من انواع السياسة في معاملته وضرور الحكمة في التربية ولكنه لا يستطيع في الغالب ان يلطفها او يحولها الى غايات شريفة حسنة العواقب . مثال ذلك اذا كان من طبع الولد المناد والتصلب في الرأي فاستطاعة المربي ان يداوي طنة تصليه بصويده الحلو والتردي في الامور قبل البت فيها بحيث لا يكون في اصراره ما يعود عليه بالضرر والندم والتربية قائمة على نوعين اولها تربية البدن بترتيب القوانين الصحية وثانيها تهذيب العقيدة بحسب التوايس الاديبة . وينبغي ان يسير هذان النوعان عن يمين الولد وعن شماله بخطوات متطاوله من حين ولادته الى ان يبلغ اشدّه فان بدا تصوره في احداها لامت الشائكة المقصودة من التربية وكان مثل الولد مثل من يمشي على رجل واحدة . السناري كل يوم كثيرين من ذوي البنية القوية والاجسام الصحيحة كالتفرويين مثلاً يقضون حياة طويلة وهم لا يفرقون عن حيوانات الثقل لشكل معيشتهم واقتصرارهم من درهم على كسر يبلطونها واكواخ بأورن النيا . اولسناري ايضا كثيرين من الاولاد الاذكياء الذين توفرت لهم وسائل التعليم والتربية الاديبة يعيشون مقام الاجسام ضحني القوي طاجزين عن ادراك كثير من الاماني التي يجمع بها اترابهم وكانوا جديدين بها لولا ما لانهم من صحة البدن وقوة العضل . ثم ان من الامراض ما هو موروث كععض المناقب والشوائب لا يمكن شفاؤه بمجرد العناية الجدية على ان كثيراً ما يكون مرض الاطفال وموتهم سببهم عن جهل الامهات قرائن الصحة فانه يستدل من الاحصاءات الرسمية ان عدد الوفيات يزداد في الاطفال زيادة مطردة على نسبة تأخر الامة وجهلها قواعد التربية الجدية . وليؤمنا القول ان معدل موت الاطفال في القطر المصري اكثر من سائر اقطار العالم وفي ذلك دليل واضح على ان فن التربية مجهول عندنا تماماً

ولا غرو فمن نرى فتياتنا وشباننا يقدمون على الزواج وكلهم مجهل الواجبات الوالدية تمام الجهل فالشاب المتعلم لا يعرف سوى قواعد العلوم التي تلقها في المدرسة او الصناعة التي يشتغل بها للقيام بمبشبهه والفتاة اما ان تكون امية جاهلة او عارفة بالنظرية والعرف على البيان والعلم بلسان الاطام فاذا ابرزوا اولاداً حاراً في كيفية تربيتهم وتهذيبهم واحداً

يخطان لم يخطأ قد يودي بحياتهم ويفسد اخلاقهم حتى اذا مات احد منهم قال هذا عمرة
ومن عاش سقياً سيئ الخلق رديء السيرة قال تلك قسمة وهكذا يقتل الآباء
والامهات اجساد اولادهم وتفوسهم وآدابهم بقلة اختبارهم وتعرضهم لمسة لم يسبق لهم علم بها
ولم يستعدوا لها من العجب ان ما منهم من يتعاطى عملاً او صناعة او حرفة سها كانت
بسطة قبل ان يحق تعلمها اولاً فالخامس لا ينصب نفسه للحمامة قبل ان يدرس علم الحقوق
والفلاحة لا يتعاطى فن الزراعة الا وهو على علم او على بعض العلم يختصائص المزروعات وقابلية
الارض وتأثير السواد الى غير ذلك من الاخبار الزراعية وهكذا التجار والحداد والخطاطة
والمرضة وغير الصانع والمستخدمين فانهم لا يتعاطون مهنة دون ان يتعلموها اولاً اما الآباء
والامهات فانهم يتولون امر التربية ويتولون لارلادهم شرائع تجري قواعدا على اجسادهم
واذهانهم وهم لا يدرون شيئاً من قوانين الصحة والتربية الاديبة

هذا ما دعاني الى اتخاذ التربية موضوعاً للبحث ممكن ابنا السيدات الفاضلات عننا
بذلك نعم في ايجاد وسائل لتحصين التربية في المدارس وتعليم الفتيات قوانين الصحة وقواعد
الآداب الصحية حتى اذا اصبحن يوماً امهات يدركن ما عليهن من الواجبات الالدية لغيرنا
بذلك مجتمعا ويصلح شأن افرادنا باصلاح التربية العمومية وتهذيب اخلاق الناشئة على
قواعدها الصحية

- ومعلوم اننا في عصرنا نشرت فيه آيات المدينة الاوربية على ما فيها من المساويء
الكثيرة التي يجهر بها التريرون انفسهم والتي كنا في مأمور من اخطارها في عصور الجهالة
الماضية فأصبح من الواجب على الامم حتماً ان تسهر على بنيتها وبناتها بين التيقظ والاهتمام
وترشدهم الى السبل القويمة وتثنيهم على اصول الآداب الراضحة والاخلاق الصالحة التي لا
تؤثر فيها عواصف الالهواء واعصار التقاليد جاغة اساس تربيها الشرف الصحيح والصيت
الحسن الذين اذا رشحنا في امره كان عليه كل عزيز في سبيل صيانتها

وما اجل ما وقع تحت بسري في احد المؤتمرات من ملحمة حكيمة اقلها اليكن تفككة وذكرى
زعموا ان الماء والنار والصيت الحسن اصطبوا مرة ثم ارادوا الاقتراق فقالوا ليصل كل منا
لنفسه علامة تعرفه بها اذا طلبناه فقال الماء انا اكون حيث تكون الخصرة وقالت النار انا
اكون حيث يكون السخان وقال الصيت الحسن اما انا فان من يفتديني فلا يجدهني ابداً
انا نجد في هذه الملحمة امثلة حسنة يجدر بالامهات تكرارها على مسامع ابنائهن وبناتهن

حتى ترمح في اذهانهم وتجعل فيهم استعداداً لانقحام لجة الشيبية على ما فيها من الاخطار دون ان يلحظ بلجاسمهم وآدابهم امراض واضرار

والتربية لتناول ادوار الهدانة والصبوة والكهولة وهي انما تتم في ثلاثة انواع النوع الاول « التربية الوالدية » وهو يأتي في زمن الطفولة والهدانة والنوع الثاني « التربية العلية » وهو يتناول زمن الصبوة والنوع الثالث « تربية المرء نفسه » وهذه تمتد بقدر استعداد المرء للاكتساب من مخالطة الناس ومعاشرتهم . وسأبحث في كل نوع منها على قدر الاستطاعة على اني قبل الزواج في الموضوع ايسر لجهة عن حالة الوالدين وما يجب عليهما اتباعه لدى اولادها بحيث يكون مقامهما محترماً لسيهم واوامرها مطاعة منهم وتعاليمها وارشاداتها مفيدة لهم

المطلب الثاني في الوالدين

رأى اجدم ولداً في طريقه فانجذب نظره اليه ما رآه فيه من امارات الطيش والتزق وما كان يقذف به اخوانه ورفقاءه من الشائم والسباب وما يرميهم به من الحجارة فلتعرب منه وسأله ما اسمك فاجابه « شيطان » قال وما اسم ابيك اجاب « شيطان » قال وما اسم امك قال « شيطانة » قال وكيف ذلك قال الولد اني اسمع ابي يدعو ابي شيطانة وامي تسمي شيطاناً وكلاهما يتادبني باشيطان

ولا بدع فان الابوين هما اصل الامرة ومن البديهي ان على الاصول تبنت الورق فلا يرجى من الشوك عيب ولا ينتظر من الشياطين رجال بل كما يكون الابوان بشأ الاولاد ولذلك فمن اول واجباتهما ان يحترم الواحد الآخر ويتامله بالطلب والمعروف حتى يشب الاولاد على احترامهما كليهما . هذا مع وجوب المحافظة على كل لفظة واشارة وسكعة تيسر منهما ولا سيما بخصرة الاولاد فلا يدعاهم يقتبون عنهما ما لا يروانه لهم من العادات والاخلاق فان ذهن الولد اشبه باسطوانة الحاكمي (التوتوغراف) فهو يثقل كل شيء يراه او يسمعه او يشر به وخصوصاً اذا كان ذلك الشيء صادراً عن والديه لما له من الثقة العميقة بهما فضلاً عن مخالطته اباها وحدها في زمن الصغر فها والحالة هذه المثال الاكبر الذي يتخلق الاولاد يذكره وينسجون على منواله وعليه فائق ما يلامس اعمال الوالدين من الخطاه والنظ يتقل على صورتها الى اذهان الاولاد ويعد لها ذنب لا ينتفعل بصانها عليه في مستقبل الايام وذلك حينما يأتي زمن الحصاد . زمن يجيء فيه الآباء ثمار الحياة التي قضموا

في سبيل تربية الابناء وبالما من ساعة رهيبه تنفت لمولما الاكباد . ساعة يهودون فيها من اولادهم باغية والفشل ومن الانانية بالصفات
ومن افزع الاضلاط التي يرتكها الزوجان ان يلوم احدها الاخر بحضور الاولاد على حفرة اتانها او بادرة بدرت منه فان ذلك يقلل من وقارها وينقص من ثقة الاولاد بها .
وعلى الوالدين ايضا ان يكونا باثني الوجه طلي الحيا يعاملون الاولاد معاملة تراوح بين الشدة واللين بحيث يكونان في كلا الحالتين محبوبين منهم ومطاعين في آن واحد لان الطاعة من ام اركان التربية ولكنها اذا كانت ناتجة عن خوف الولد من مريد في قلما تقيده لارت تأثيرها لا يجاوز ظاهر اعمالها . فاذا ما حلت له فرصة غياب مريد او غفلة منه داس القانون الذي وضعه له غير هيأ ولا وجل ولا خفر في عمل بأية الانسان مرشما

والانكليز من هذا القبيل اقدر الام على اقتياد الاطفال بالرفق والحب الى دائرة الطاعة .
حدثني بعضهم قال : ذهبت مرة لزيارة احدى الاسر الانكليزية فاصبرت لدى دخولي ابن صاحب البيت وعمرة خمس سنوات وكان واقفا على بعض خطوات مني غيبته فرد تبحي بعثها من بعيد ولم تكن تلك عادة فسالته ان يقترب مني فاني مستندرا بان امه امرته ان لا يتعدى الخط الذي امامه قال ذلك و اشار الى خط اسود يفضل بين قطع الرخام قال فسرت من طاعته واثبت على اديه

فمن من اولادنا يطيع والديه مثل هذه الطاعة التامة التي تعود عليهم بالفتادة وعلى الامهات بالراحة

ولكي تستب السطة للوالدين ويحبذا اليهما قلوب الاطفال يجب ان يظهرنا بظهور العدل والانصاف ويلبسا لكل حالة لبوسها أي أن يستعملوا الشدة والصف حينما يكون الاولاد مذنبين وفي غير ذلك من الاوقات ينبغي ان يعاملوا معاملة اسدقاء وانرا . ولا بأس من مياستهم وملاحتهم واهدائهم اشياء تسرم حتى اذا عوقب الولد يوما بحرماته تلك الملاحظة والملاعبة يشعر بنفسه وألم وقد يكون في امتناعها مرة عن تقيله ما هو اشد تأثيراً فيه من العتاب والضرب

على ان بعض الآباء يزعمون ان التربية تكون باظهار الصف والقوة والتلبس بالخشونة والمبوسة فيرى الاب منهم منقطب الجبين في منزل كانه آله للاتقام او مثال للارهاب فيجذب الاولاد وجوارى كل منهم في زاوية خوفامة ورهبة من غضبه لا احتراماً له لوجبا به وهذا ما يخالف قوانين التربية

يحكى عن جلالة امبراطور ألمانيا انه على سعة ملكه وعظم جبروته وما عرف عنه من القسوة في معاملة اولادوه والتدقيق في تربيتهم كان يلاعب اطفاله وأئاماً في ساعات فراغه من الاعمال وكثيراً ما كانوا يضعون في فيه طاماً ويشاقونه كالجلودا غيرك احداهم على ظهوره ويميل الاخر فيه الوسط وهو يمشي على الاربع مقلداً بذلك الحيوانات بالرأس والتثيق واطفاله من حوله يقهقون مسرورين

وبشاشة الوالدين في وقت الرضى بمثابة مكافأة للاولاد على صلاحهم كما ان اشمال القسوة والصرامة ضروري في تأديبهم وكلا الامرين لازم في موضعه

ولا ينبغي ما للاطفال من رقة القلب ولطف المزاج وسرعة التأثر فلا يحسن بالآباء ان يكشفهم مصائبهم او يفاخروهم بما يثير مكامن سرورهم او حزنهم بل ان يتجملوا لسيهم على ما يكرهون ويتركونهم في محبوبحة الصفاء يرتعون - ومن الخطاء النظيف اعمال اكثر اغيائنا تربية اولادهم وتطعيم بانفسهم اعتقاداً منهم ان ما جمعه من الثروة والتي يكفهم مؤونة العلم والتربية فيكل الاب شؤونهم للام وهذه تسلم لعناية الخدم وقد فاتهم ان المال وحده لا يصير رجلاً ولا نبياً بل قد يكون معواناً لجهلة على الشر لانه يساعد على اتياع اهواء النفس والنفس اماره بالسوء فضلاً عن ان عيشة الكسل والرخاء من شأنها ان تصغر الهمة وتحط العزيمة فيشب الولد على الترف والنعيم معتقداً بدوام الحال فاذا جاء وقت اضطر فيه الى العمل لم يكن ذا نشاط وذكاء بل ينزل يخطب في حياته فخطباً يستهلك على الغالب ثروته وتفضي به الحال الى العاقبة والمسكنة والذل وعلى الجملة فان من اول واجبات الابوين ولاسيما الام التي هي رفيقة الولد ان تكون قدوة حسنة لا اولادها لاتأتي ما تريد صرفهم عنه ولا تنههم عن امرٍ وتأني مثله ولا تقدم بشيء ثم تنكث برعدها فانها بذلك تعلم الكذب والاخلاف ولا تأمرهم بطول الاناة والحلم ثم تسخط عليهم لافل هفوة ربما لا تستوجب النضب فيستدربون على الحدة والتبرم وسوء الخلق - وتعي عرف الابوان كيف يتلكان طباعها ويحفظان على مقامها في الاسرة زال معظم الصعوبة من امامها ودانت لها تقوس الضار فيصبح في وسعها حينئذ ان يتألمهم روح الفضائل والميل الى العمل والاقتصاد والاستقامة والحسنة وبذلك يجدان فيهم برماً رجلاً ذوي جد ونشاط يعملون على خيرهم وخير اخوانهم في الانسانية ويخلصون الحسنة لوطنهم العزيز الذي لا تقوم له قائمة الا بشاغل ونساء مشغيات متعقبات قادرات على ارضاع الاولاد لبان الآداب الصحيحة فيفاخران بهم ويبتزآن بأادابهم وفضائلهم